الذي يتم بناؤه تدريجياً.

إنه من سخرية القدر أن الحجة الاساسية للمضي بأسلوب العمليات البحرية، ألا وهي تحقيق الاهداف السياسية والمعنوية الفورية التي يزعم انها حيوية، تنقصها الوقائع. فقد أدى الفشل المتكرر لمثل هذه العمليات الى تقليص الحجة السياسية للقيام بها الى حد بعيد، بل وأدى الفشل الى نتائج سياسية ومعنوية عكسية كفقدان المصداقية في نظر الجمهورين، الفلسطيني والخارجي، على حد سواء. وعادت هذه الحالة، من جهة، الى السعي وراء أهداف يصعب تحقيقها من خلال عملية عسكرية واحدة، مهما كانت ضخمة، مثل عرقلة تحرك دبلوماسي اقليمي، ومن جهة اخرى الى حقيقة أن نسبة المردود الى الكلفة، عسكرياً ومادياً، تدنت الى درجة أن أي مكسب سياسي جزئي لم يعد يحسِّن حساب الربح والخسارة السياسي ـ العسكري الاجمالي فلم يعد يبرر القيام بالعملية.

فيلاحظ أن عملية بحرية تشهد وصول المجموعة الفلسطينية الى الشاطئ واشتباكها هناك على الأقل، يعتبر تهديداً فعلياً للاسرائيليين ويمكن أن يقتل بعضهم، فتعتبر تلك عملية ناجحة بمعيار هدفها المعنوي حتى اذا استشهد الفدائيون أو عجزوا عن الانتقال الى الداخل لضرب الاهداف أو احتجاز الرهائن أو اطلاق السجناء. وكانت تلك تجربة عمليتي «سافوي» العام ١٩٧٤ و«دلال المغربي» العام ١٩٧٨ البحريتين وعملية الباص في قطاع غزة العام ١٩٨٤ والتي نفذها أعضاء سريون أتوا من القطاع وليس من البحر أصلاً. أما العمليات التي يُجهضها الاسرائيليون وهي في مراحلها الاولى، أي في عرض البحر، فكأنها تعلن للجمهورين، الاسرائيلي والفلسطيني، أن الفدائيين يقومون بعمل عسكري سيء التصميم والتخطيط وقليل فرص النجاح، مما يمنع تحقيق أية مكاسب عسكرية أو سياسية أو معنوية. يتمثل المعيار الصحيح لقياس هذا النمط القتالي، اذاً، بقدرة الطرف الفلسطيني إما على الوصول الى التربة الفلسطينية أو على إيذاء الاسرائيليين جسدياً ومادياً في البر أو البحر. ويقف حد فاصل دقيق ليفصل بين القيام بعملية تأتي بمردود سياسي ـ معنوي، رغم فشلها عسكرياً، بالمعايير الجامدة (استشهاد المجموعة وعدم تحقيق أهدافها الميدانية الموضوعة) وبين القيام بعملية لا يمكن أن تعود بالثمار لأنها تتبع تكتيكاً مستهلكاً سعياً وراء المكاسب الآنية السريعة.

وينطبق ما سبق، أيضاً، على العمليات التي تم التحضير لها جيداً. فقد تم تكريس جهود كبيرة تهيئة للعملية البحرية في نيسان (ابريل) ١٩٨٥، حيث استغرق التدريب سنة كاملة، تلقى خلالها بعض أفراد المجموعة الفدائية والبالغة ٢٨ رجلاً دورات خاصة في الملاحة، وتم شراء الزوارق المطاطية وسفينة «أم» تجارية، كما تم إرسال من يصوِّر افلاماً متحركة للساحل الفلسطيني ومدينة تل أبيب. إلا أن كل هذا الجهد المنسق كان سيبوء بالفشل حتماً، ليس لأنه كان سيصطدم بالضرورة بالحجاب البحري الاسرائيلي، بل لأن المجموعة الفدائية كانت ستعجز عن العثور على طريقها نحو أهدافها الموضوعة في وسط تل أبيب بسبب عدم معرفتها بالمنطقة وغياب الخرائط والافلام اللازمة لمنطقة الهدف وطرق الوصول إليه. فما قيمة كل ذلك التحضير إذا كانت ثمة ثغرة أساسية في الخطة تمنع العثور على الهدف؟ يتمثل الجواب في أن المخططين كانوا يعرفون، ضمناً، أن الفدائيين لن يجدوا طريقهم الى الهدف، كما دل اصدار الاوامر البديلة الى المجموعة الفدائية بمهاجمة أية أهداف تلقاها في جوار نقطة